قنوات اليوتيوب وتعليم اللغات الأجنبية:

دراسة في تمثلات الشباب بمدينة وهران.

YouTube channels and foreign language learning:

.A study of youth perceptions in the city of Oran

خيتر سعدية [1]♦، جير الزهرة [2]

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية- جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر،
[1] saadia.kheiter@univ-mascara.dz.

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية- معسكر. جامعة غرداية،

[2] djir.zohra@univ-ghardaia.dz

تاريخ الإرسال: 2026/02/28 ؛ تاريخ القبول: 2026/03/29 ؛ تاريخ النشر: 15/ 06/ 2026

الملخص:

تعتبر مرحلة الشباب من أبرز المراحل العمرية التي يمر بها الإنسان في حياته، ونظرا لأهميتها نالت وعن جدارة اهتمام العديد من المجالات البحثية والحقول المعرفية كالعلوم الاجتماعية والإنسانية بصفة عامة، والدراسات السوسيولوجية بصفة أدق، خاصة في ظل التحولات الثقافية والاجتماعية التي تعرفها مختلف المجتمعات البشرية. من منطلق اعتبار الشباب فاعلين مهتمين دائما بالبحث عن التميز وتنمية الذات في جميع المجالات، يتقدمها في الواقع الحالي اكتساب اللغات الأجنبية، وما يرافق ذلك من عملية تأثير وتأثر على مستوى الثقافة والهوية، بالأخص لما يرتبط الأمر بقنوات اليوتيوب الخاصة بتعليم اللغات الأجنبية، وما يقدم من خلالها من مضامين لغوية تعليمية، وما لها من مساهمة في نقل للثقافة في ذات الوقت.

انطلاقا مما سبق، تسعى هذه الورقة البحثية لتقديم قراءة سوسيولوجية للدور الذي تلعبه قنوات اليوتيوب المتخصصة في تعليم اللغات الأجنبية، إضافة إلى مشاركتها في عملية نقل القيم الثقافية إلى الشاب الجزائري المتابع لها، وذلك من خلال الاعتماد

♦ المؤلف المرسل

على دراسة ميدانية على عينة من الشباب بمدينة وهران، يتم من خلالها التطرق لتمثلاتهم وممارساتهم المرتبطة بالظاهرة محل الدراسة.
الكلمات المفتاحية: الشباب؛ التمثلات؛ الممارسات؛ قنوات اليوتيوب المتخصصة في اللغة؛ القيم الثقافية؛ الرموز اللغوية.

Abstract:

The youth stage is considered one of the most important stages in the life of the human being. In view of its importance, many research fields and fields of knowledge, such as social and human sciences in general, and sociological studies in particular, have been well-received, especially in light of the cultural and social transformations known to various human societies. In view of the fact that young people are always interested in the search for excellence and self-development in all fields, the current situation is preceded by the acquisition of foreign languages and the accompanying process of influence and impact on the level of culture and identity, Through which the contents of linguistic teaching, and a vector of culture at the same time.

Based on the above, this intervention seeks to provide a sociological reading of the role played by YouTube channels specialized in the teaching and acquisition of foreign languages, in addition to their participation in the process of transferring the cultural values of the Algerian young man following them, by relying on a field study on a sample of young people in Oran, During which he addressed the manifestations of youth and their practices associated with the phenomenon under study.
Keywords: youth ; representations ; practices ; YouTube language channels ; cultural values ; language codes.

مقدمة:

يشهد الواقع الاجتماعي الجزائري اليوم كغيره من المجتمعات البشرية الأخرى مجموعة من التغيرات الملاحظة بقوة في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية وأنساقها المتعددة في ظل ما يعرف بمجتمع المخاطر، إضافة إلى الطفرة الهائلة في وسائل الإعلام والاتصال، وهو ما انعكس بدرجات متفاوتة ومباشرة على التفاعلات البينية المنتجة ضمن هذه الأنساق، وفي مقدمتها الظاهرة اللغوية. على اعتبار أن الاجتماعي هو بالأساس نسق من العلاقات المتفاعلة فيما بينها، والمعتمدة على اللغة والرموز اللغوية دائما كأساس وجودي لها. وبالتالي لا يمكن أن يخفى على أي فاعل اجتماعي عامة، أو باحث في علوم

الإنسان والمجتمع بصفة أكثر دقة دور اللغة في السيرورة الاجتماعية، كما أنها لا يمكن أن تبقى بمنأى عن التغيرات الحاصلة في المجتمع.

انطلاقا مما سبق، تمتلك اللغة مكانة محورية ومركزية في الدراسات الاجتماعية ضمن تخصصاتها المتنوعة، حيث ظهرت العديد من الاتجاهات التي تفسر الظاهرة اللغوية، وتحاول فهم المتغيرات المختلفة المتعلقة بها والمتفاعلة معها.

فمن الباحثين من يرى أن اللغة مجرد أداة أنتجها المجتمع بغرض التواصل والاتصال بين أفراد الجماعة، بمعنى أنها تؤدي دورا اجتماعيا للتفاعل، ونقل الأفكار التي يحملها الفاعلون في أذهانهم وتصوراتهم إزاء بعضهم البعض من ناحية، وإزاء العالم الاجتماعي الذي ينتمون إليه من ناحية أخرى. وفي مقابل هؤلاء نجد من يعتبر أن اللغة تمثل بالأساس تجربة للعالم، حيث أنها تمكننا من بناء عوالم متعددة غير التي نعرفها في واقعنا الاجتماعي، وبالتالي تتيح لنا إمكانية الانتماء لعدة عوالم، وليس المجتمع المحلي الذي نعيش فيه فقط.

ونظرا لهذه الأهمية التي تكتسي اللغة والظاهرة اللغوية، تعمل مختلف المجتمعات البشرية على الاهتمام بها وغرسها في الناشئة عن طريق مؤسسات التربية والتعليم المتنوعة، كما أنها تضع مجموعة من المناهج التعليمية والاستراتيجيات التي تخدم نقل اللغة من جيل المربين أو الأكبر سنا إلى جيل المتعلمين.

ولكن الملاحظ أن هذه الاستراتيجيات تحقق نسبة معينة من النجاح فيما يخص اللغة الأم أو اللغة الرسمية الأولى القريبة من اللهجة المحلية المتداولة (اللغة العربية في حالة الجزائر)، لكنها لا تصل إلى المستوى المطلوب لما يتعلق الأمر باللغات الأجنبية كما هو الأمر في حالة اللغتين الفرنسية والانجليزية. وهذا راجع حسب الدراسات والملاحظات الميدانية إلى ضعف التكوين فيها، والعائد أساسا إلى عدم اعتبار اللغات الأجنبية من المواد الأساسية في المحتويات التعليمية في كل المستويات: الابتدائية، المتوسطة والثانوية، ماعدا شعبة الآداب واللغات الأجنبية، التي تهتم بها وتوليها مكانة ملحوظة مقارنة بغيرها، وهو ما ينعكس على مضامين البرامج والحجم الساعي لتدريس اللغات.

ومن أجل تدارك هذا الخلل، يسعى العديد من الشباب لتعلم اللغات الأجنبية اعتمادا على طرق متنوعة كل حسب قدراته وتطلعاته، يأتي في مقدمتها التعلم بالاعتماد على الفضاء الافتراضي (الانترنيت) سواء من خلال المواقع التعليمية، التطبيقات، أو مواقع التواصل الاجتماعي، ويأتي اليوتيوب في الصدارة بناء على المعطيات الميدانية الاستطلاعية. ومن هنا نطرح التساؤل التالي:

- كيف يتمثل الشباب قنوات اليوتيوب الخاصة بتعليم اللغات الأجنبية ؟ وهل تساعد فقط في اكتسابهم للغة جديدة أم أنها تنقل إليهم ثقافة وعالما مغايرا لواقعهم الاجتماعي المحلي ؟ وكيف تؤثر مضامين هذه القنوات التعليمية في التواجد الاجتماعي للشباب ؟

ولمحاولة استطلاع الموضوع والخوض بصورة استكشافية في حيثياته تمت صياغة الفرضيات التالية:

- تتضمن قنوات اليوتيوب المتخصصة في تعليم اللغات الأجنبية محتويات تمكن الفاعل الاجتماعي من اكتساب اللغات والرموز اللغوية بطريقة أكثر سهولة تكتسيها العديد من التحديات التي تبقي الرغبة في التعلم لديه موجودة حسب تمثلات المبحوثين.

- تعتبر هذه القنوات وسيلة ما بعد حداثية لنقل ثقافة المجتمعات الأصلية للغة الأجنبية المكتسبة وهي بالتالي تؤثر على تمثلات الشباب وممارساتهم الاجتماعية.

- تعتبر هذه القنوات وسيلة عابرة للحدود الطبقية بين الشباب لمجانيتها وسهولتها في التعليم عكس المعاهد الخاصة.

- تتيح سوق القنوات التعليمية للغات الأجنبية المتنوعة إمكانية اختيار المتعلم لنوعية المضامين المتلائمة مع تطلعاته واهتماماته خلافا للبرامج التعليمية التقليدية في المؤسسات الحكومية والمعاهد الخاصة.

1- مفاهيم الدراسة:

تعتمد كل دراسة ميدانية على مجموعة من المفاهيم الأساسية التي يسعى الباحث لضبط معانيها، وبالأخص الإجرائية منها، وقد تمثلت مفاهيم هذا الموضوع المحورية فيما يلي:

1.1- الشباب:

يعتبر مفهوم الشباب من أكثر المفاهيم غموضا من ناحية المعرفة السوسيولوجية كما يذكر المختص الجزائري في شؤون العائلة **مصطفى بوتفنوشت**، بالرغم من بداهته في الحس المشترك وكثرة توظيفاته، حيث أن هناك خلطا شائعا من الناحية الإجرائية والتعريفية بين الشباب والمراهقة، وهي ملاحظة تم الوقوف عليها لدى الاطلاع على العديد من الأدبيات المتطرقة لفئة الشباب بالبحث والتقصي، في حين أن هذين المصطلحين يختلفان ولا يحملان نفس الدلالة والمعنى وفقا للعديد من الأطروحات العلمية.

من الناحية السوسيولوجية يمكن القول أن مفهوم الشباب يرتبط بأبعاد ومؤشرات اجتماعية أكثر تعقيدا من اختزاله في المعطى البيولوجي أو العمري فقط، حيث أن هذا الأخير يتحدد في أرقام إحصائية وديمغرافية معينة، تتغير بناء على رؤية واضعها، وغير متفق إجمالا عليها. ومن هنا يمكن طرح التساؤلات الآتية: من هو الشاب بالمعنى

السوسيولوجي؟ وكيف يمكننا تحديد هذا المفهوم من الناحية العملية الميدانية بالأساس؟ خصوصا في ظل رؤية معمقة تتجاوز معارف الحس المشترك لتقدم لنا محاولات لفهم فئة يقول عنها **Olivier GALLAND** أنها "غير مرتبطة فقط بالعمر، معبرة عن مفهوم اجتماعي بالأساس، يمكن أن تتمدد مرحلته أو تتقلص نتيجة مؤثرات اجتماعية، ثقافية أو اقتصادية ناتجة عن التحولات التي يعرفها ويعايشها المجتمع". (GALLAND,O.1994)

نقيض الرؤية السابقة، يتمحور حول أن هذا المفهوم (الشباب) لا يتجاوز كونه "مجرد كلمة" كما يذكر **Pierre Bourdieu** يسعى من خلالها الأكبر سنا لفرض سيطرتهم، ثقافتهم ورؤيتهم للأمور على الفئة الأصغر سنا، فحسب هذا الباحث، إن "حالة الشباب وحالة الكهولة ليستا معطيات لكنهما أسّسا اجتماعيا من خلال الصراع بين الشباب وكبار السن." (بورديو، ب.2011: 231) . وبالتالي فالتحديد مرتبط وبشكل مباشر بالعلاقات الجيلية المتجهة أكثر إلى الصراع بين الأجيال: صغار منتجون للتغير، وكبار مقاومون له يسعون للحفاظ على القيم المشتركة المكونة للضمير الجمعي في مجتمعهم. إذا العملية مرهونة أساسا بمعرفة القوانين الخاصة بعمل الحقل الجيلي، ورهانات الصراع، والتقسيمات التي يحدثها هذا الصراع. ومنه يظهر لنا مستوى التعقيد في تحديد واستيعاب مفهوم الشباب وفق الدراسات السوسيولوجية لأنه "من الواضح أن العمر هو معطى بيولوجي متلاعب به، ويمكن التلاعب به اجتماعيا، و أن الحديث عن الشباب كوحدة اجتماعية وكمجموعة مشكلة لها مصالح مشتركة، وعزو هذه المصالح إلى عمر محدد بيولوجيا، يشكل بحد ذاته مناورة بديهية." (بورديو، ب.2011: 231)

ومنه نستنتج أن هذا المفهوم يمكن أن تندرج ضمنه العديد من العوالم الاجتماعية التي تتمايز تمايزا كليا عن بعضها، ولا تمت لبعضها بصلة، سوى الاشتراك في رهانات الصراع بين الأجيال، وخصوصا فيما يرتبط بالتحولات القيمية في مختلف الحقول المكونة للواقع الاجتماعي في أبسط تجسداته وتمظهراته. (من أجل الحصول على معطيات نظرية وميدانية أكثر، الرجوع إلى كتابات كل من Olivier GALLAND، François DUBET، نور الدين الزغل، رحمة بورقية.)

ويمكن الإشارة في الأخير إلى كون الشباب اليوم حسب الملاحظة الميدانية أصبح قيمة اجتماعية وثقافية كبيرة في حد ذاته، باعتبار أن الصورة النموذجية للعصر الحالي متمحورة وبقوة حول الشباب وما يرتبط بهم من مسائل متعلقة أساسا بالمحافظة على المظهر، تغييره وتجديده، الملابس الشبابية، الأغاني الشبابية، تحدث اللغات الأجنبية وغيرها، ويتم توظيف هذه الحيثيات السطحية لتمرير معاني قيمية جديدة تتمايز في العديد من الأحيان مع القيم المحلية.

2.1- التمثلات الاجتماعية:

يعتبر مفهوم التمثلات بدوره واحدا من المفاهيم الأساسية في العلوم الاجتماعية بصفة عامة، والدراسات السوسيولوجية والنفسية بصفة خاصة، لما لدلالة هذا المفهوم من أهمية في تكوين مجموعة من التصورات ووجهات النظر فيما يخص الذات والعالم الخارجي، وينتج عن ذلك تأطير الممارسات والتفاعلات التي يقوم الفاعلون الاجتماعيون بصياغتها على هيئة أفعال وردات أفعال متماشية والوضعيات التفاعلية المختلفة التي يجدون أنفسهم في سياقها. حيث أن للتمثلات وفق رؤية JODELET "قدر كبير من الأهمية في حياتنا باعتبار أنها تعطي معنى لأفعالنا وتصرفاتنا". (JODELET,D.1984 :22)

ويمكن تعريف التمثلات على أنها:"كل رؤية أو تصور معبر عن حقيقة سواء فرديا أو مرتبطا بالمجموعة، يتم بناؤه ضمن سياق معرفي ثم يقع إدماجه ضمن منظومة القيم الفردية أو الجماعية والسياق الاجتماعي الذي يتنزل فيه." (ABRIC,J,C.1997 :17)

انطلاقا مما سبق، يمكن القول أن المقصود بالتمثلات في هذه الورقة: مجموع التصورات الذهنية التي يعتقد فيها ويحملها الفاعلون الاجتماعيون حول قنوات اليوتيوب الخاصة بتعليم اللغات الأجنبية، والتي تؤطر سلوكاتهم وممارساتهم فيما يتعلق بالتعاطي مع هذه القنوات المنتمية بالأساس للعالم الافتراضي، والمؤثرة بصفة جلية في الواقع الاجتماعي.

3.1- الممارسات:

يرتبط مفهوم الممارسة إجمالا حسب الدراسات الاجتماعية تتقدمها أدبيات Pierre BOURDIEU بالفعل الاجتماعي الذي يقوم فيه الفاعلون بالمشاركة في إنتاج البناء الاجتماعي، وليس مجرد القيام بأدوار ووظائف معينة في خضمه. حيث يقول أنه: "من الممكن استبعاد الذات من تراث فلسفة الوعي دون القضاء عليه لصالح البنية. فعلى الرغم من أن الفاعلين نتاج البنية، إلا أنهم صنعوا ويصنعون البنية باستمرار، فعملية إعادة إنتاج البنية هذه، بعيدا عن كونها نتاج سيرورة آلية، لا تتحقق بدون تعاون الفاعلين الذين استدمجوا ضرورة البنية في شكل هابيتوس، حيث ينتجون، ويعيدون الإنتاج سواء كانوا واعين بتعاونهم أم لا". (بورديو، ب.1966: 202-203)

وبالتالي يقصد بمفهوم الممارسات في ورقتنا مجموع الأفعال الاجتماعية التي يقوم بها الفاعلون في إطار الاعتماد على قنوات اليوتيوب المتخصصة في تعليم اللغات الأجنبية، بهدف التعلم.

4.1- قنوات اليوتيوب المتخصصة في اللغة:

يقصد بهذا المفهوم مجموع القنوات المنتمية لليوتيوب والتي تقوم بدور تعليمي متخصص في اللغات الأجنبية عامة، واللغة الانجليزية على الخصوص، بالاعتماد على

طرق متنوعة ومتعددة في التعليم، من بينها: الدروس التقليدية، الاعتماد على الأفلام، الاعتماد على الأغاني والمقاطع الموسيقية، الاعتماد على الترجمة في بث المحتوى التعليمي... وغيرها.

وتهدف هذه القنوات بالدرجة الأولى لتعليم لغات أجنبية لغير الناطقين بها، وتركز كل محتوياتها لخدمة هذا الهدف خلافا لغيرها من قنوات اليوتيوب الأخرى المتخصصة في التجميل والطبخ أو الرياضة أو غيرهما من المضامين التعليمية والترفيهية.

5.1- القيم الثقافية:

يعتبر مفهوم القيم من أكثر المفاهيم إثارة للجدل في العلوم الاجتماعية بصفة عامة، حيث تعددت التعاريف المقترحة لضبط معناه وتنوعت مشكلة زخما معرفيا كبيرا في الأدبيات المتخصصة، وبعيدا عن البعد التنظيري للمفهوم، يمكن القول أن المقصود به في ورقتنا هذه: مجموع القيم المتصلة بالثقافة الأصلية للغة الأجنبية المكتسبة من قنوات اليوتيوب المتخصصة في تعليم اللغات لغير الناطقين بها. والمتعلقة بمختلف مجالات الحياة الاجتماعية، والتي يعيد الفاعل الاجتماعي إنتاجها في واقعه اليومي المعيش، مما يؤثر في عملية إعادة إنتاج نفس قيم المجتمع المحلي الثقافية، ويخلق شعورا بالتميز والاختلاف لدى الشباب المتعلمين للغات الأجنبية عن غيرهم.

6.1- اللغة والرموز اللغوية:

ترتبط اللغة بالحياة الاجتماعية في كل مجالاتها حيث يذكر فرديناند دوسوسير أن: "اللغة هي ظاهرة اجتماعية كونها نظام من الإشارات والرموز التي يستخدمها الإنسان للتعبير عن مجمل أفكاره." (حسام الدين، ك، ز.د.س: 46) وذلك بهدف تحقيق التفاعل الاجتماعي بين مختلف أفراد المجتمع، وفهم الفاعلين الاجتماعيين لبعضهم من أجل القيام بالتواصل والعملية الاتصالية بينهم، حيث أنّ هناك من المفكرين من يرى أنّ تجربة الإنسان في العالم هي تجربة لغوية بالدرجة الأولى، حيث أنها من تمكنه من فهم ذاته والاتصال مع غيره، وبالتالي فهي التي تكشف له عوالما متعددة، وتبني روابطه الاجتماعية المتعددة.

2- الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية:

1.2- تقنية جمع المعطيات والمنهج:

تمثلت أداة جمع المعطيات في المقابلة نصف الموجهة، المعتمدة على دليل يحدد محاور البحث الميداني الاستكشافي، ويمكّن من التطرق لمساءلة ومحاورة مؤشرات معينة ومحددة حول موضوع البحث. إضافة إلى الاعتماد على المنهج الكيفي الذي يقدم في مثل هذه المواضيع إمكانية فهم العلاقة بين المتغيرات المختلفة التي تشكل الظاهرة،

والتعمق فيها بتجاوز ما هو وصفي وتفسيري إلى ما هو فهمي. بالإضافة إلى إمكانية إجراء المقارنة بين المعطيات المختلفة باستعمال المنهج المقارن.

2.2- عينة البحث:

شملت الدراسة الميدانية أربعة عشر (14) مبحوثا منتمين للفضاء المديني الوهراني، باعتباره مجالا يعرف بانفتاحه على كل الثقافات حسب مخيال الفاعلين الاجتماعيين، الذين يهتمون بدرجة ملحوظة بتعلم اللغات الأجنبية، تتقدمها حسب المعطيات الاستطلاعية: الانجليزية، الإسبانية، والتركية.

وقد تمثلت الخصائص السوسيو- مهنية للمبحوثين فيما يلي:

- الانتماء الجغرافي: مدينة وهران: حي ابن سينا، حي جمال الدين وحي العقيد لطفي.
- المستوى التعليمي: مستوى السنة الثالثة ثانوي فما فوق.
- تعلم اللغات الأجنبية بالاعتماد على قنوات اليوتيوب المتخصصة.

3. عرض نتائج الدراسة:

1.3- الشباب وسوق اللغات الافتراضي:

يعايش الشباب في عالم اليوم واقعا مغايرا ومتمايزا عن جيل المربين لهم من الأولياء وكبار السن، ويتجسد هذا التمايز في الاختلاف في أولويات الحياة من ناحية، والتواجد الدائم في العالم الافتراضي من ناحية أخرى. فبعد أن كانت أولويات الشباب الجزائري في سنوات سابقة تتمحور حول: العمل، الزواج وتأسيس أسرة، أصبحت في الواقع المعاصر تتمركز حول العمل، السفر، تحقيق المتعة، إتباع الموضة والتواجد الدائم والمستمر في العالم الافتراضي.

هذا الدور المهم والتواجد الدائم للانترنيت في عالم الشباب أثر بدرجة ملحوظة على مختلف جوانب حياتهم، والملاحظ أن هناك تمايزا في تعاطي هذه الفئة مع الانترنيت، فمنهم من يستعمل الانترنيت لخدمة أغراض إيجابية تساهم في التطوير الذاتي لهم ورفع مستواهم العلمي والمعرفي وحتى العلائقي، ومنهم من يقضي أوقات فراغه وحتى واجباته في مواقع التواصل الاجتماعي بحثا عن المحتويات الترفيهية فقط.

وفي هذا الإطار، يرى جميع أفراد العينة من مبحوثين أنه يمكن للفرد استغلال التقدم التكنولوجي الذي حققته وسائل الإعلام والاتصال باعتبارها مهيمنة أساسا على الواقع اليومي في تطوير ذاته في جميع الحقول والمجالات، واكتساب العديد من رؤوس الأموال التي تمكنه من التفاعل الإيجابي في بيئته الاجتماعية، وفي مقدمتها: رأس المال الثقافي ورأس المال اللغوي، واللذان ينتجان لديه نوعا من الرأسمال الرمزي المحقق للتمايز عن باقي أفراد جماعته.

كما أنهم يتفقون في كون الحصول على رأسمال لغوي وبطريقة مجانية من شأنه أن يوفر لهم إمكانية الحصول على منصب عمل في سوق الشغل بالفضاء المديني الوهراني، كون المؤسسات الاقتصادية والخدماتية في هذه المدينة تعتمد بشكل كبير وملحوظ على توظيف واستعمال اللغات الأجنبية، خصوصا وأن العديد من المؤسسات الاقتصادية مبنية على أساس الشراكة بين الجزائر وجانب ثاني أجنبي. وينتج عن ذلك بالتالي، توفير إمكانية الحصول على رأسمال اقتصادي يحقق لهم التميز ضمن مجموعاتهم الاجتماعية التي ينتمون إليها. حيث أن "الفاعل الاجتماعي الراغب في التميز في حقل مجتمعي معين، لابد أن يتميز عن الآخرين إما بالاختلاف عنهم، وإما بالانزياح عنهم ثقافيا واقتصاديا ولغويا ورمزيا واجتماعيا." (BOURDIEU,P.1979 :670)

والوصول إلى التميز هنا حسب تمثلات المبحوثين يكون عن طريق بداية مجانية باستعمال مواقع تعليم اللغات الأجنبية المجانية، والتي لا يضطرون من خلالها إلى إنفاق مبالغ مالية معتبرة من أجل التعلم، خصوصا إن كانت أوضاعهم الاقتصادية لا تسمح لهم بدفع رسوم دراسة قد تصل حسبهم إلى 32000 دج للمستوى في المعاهد المتخصصة الدولية. حيث يرى المبحوثون المكونون للعينة أن اللغة الأجنبية في المجتمع الجزائري بصفة عامة هي رأسمال يصعب الحصول عليه بالنسبة لغالبية الفاعلين الاجتماعيين، نظرا لعدم توافق حالتهم الاقتصادية مع ذلك. في حين أنهم على دراية ووعي تامين بأن الكفاءة اللغوية المعبرة عن امتلاك رأسمال لغوي في لغة أجنبية، وعن مهارات ومعارف لغوية يمكنهم من تحقيق التميز عن بقية الفاعلين الاجتماعيين الذين يملكون نفس مؤهلاتهم الدراسية، وبالتالي فتح فرص وآفاق واعدة أمامهم لولوج سوق العمل، وفق شروط تمنحهم نوعا من الرضا المهني والاقتصادي، كون من يمتلك الرأسمال اللغوي الأجنبي يستطيع أن يحظى بمكانة ثقافية واقتصادية.

واعتمادا على ما سبق التطرق له، يصر المبحوثون على الاستفادة من التواجد الدائم في مواقع الانترنيت من أجل تطوير قدراتهم اللغوية في اللغات الأجنبية، خصوصا "في ظل ظروف تسيرها العولمة، التي تمخضت وقفزات التقدم التقاني عن ولادة سوق عالمية للتعليم" (غدنز،أ.2005: 554)، تمكن أي فاعل اجتماعي من ولوجها، مع تساو تام في الفرص في حالة القنوات المجانية الخاصة بتعليم اللغات الأجنبية، دون أي اعتبارات للخلفية الاقتصادية التي ينتمي إليها المتعلم، أو الأصل الاجتماعي له. وهو ما ينتج نوعا من إمكانية التقاء جميع الأفراد في هدف واحد أيا كانت وضعياتهم الاجتماعية الواقعية، ومنه يمكن للناس شديدي البعد عن بعضهم في الفضاء الاجتماعي حتى من الناحية الاقتصادية أن يتقابلوا معا، وأن يدخلوا في تفاعلات، على الأقل على نحو وجيز

متقطع" (بورديو، ب.2002: 211) أثناء تواجدهم في فضاء قنوات اليوتيوب المتخصصة في تعليم اللغات الأجنبية.

وبهذا تمكّن هذه القنوات من تجاوز مسلمات أساسية في الواقع الاجتماعي بخصوص الانتماء الاقتصادي وإعادة إنتاج نفس الانتماء، والتي يتوزع حسبها الفاعلون الاجتماعيون في الفضاء الاجتماعي الكلي، في البعد الأول طبقا للحجم الكلي لرأس المال الذي يملكونه بمختلف أنواعه، وفي البعد الثاني، طبقا لبنية رأسمالهم، أي طبقا للوزن النسبي لمختلف أنواع رأس المال، الاقتصادي والثقافي، في الحجم الكلي لرأسمالهم." (بورديو، ب.2002: 211)

كما أن الفاعلين الشباب الذين ينتمون لأصول غير متماثلة، ويحتلون مواقع من الناحية الاجتماعية غير متماثلة أثناء تواجدهم في الانترنيت والقنوات التعليمية للغات يصبحون في شروط متماثلة، ويتلقون نفس المحتويات والمضامين، وبالتالي فهم من خلال المعطيات الميدانية يمتلكون فرصا لتكوين استعدادات ومصالح متشابهة رغم اختلافهم عن بعضهم من الناحية الواقعية، مما يؤثر في تمثلاتهم واستعداداتهم، ويمنحهم فرصة إنتاج ممارسات متشابهة ومتماثلة بعد أن كان هذا الاحتمال مستبعدا قبل تفاعلهم مع هذه القنوات التعليمية.

2.3- قنوات تعليم اللغات: من الرغبة في التعلم إلى إتباع الموضة:

من خلال المحطة السابقة، تم إبراز أهمية تعلم اللغات الأجنبية بالاعتماد على قنوات اليوتيوب المتخصصة في تعليم اللغات الأجنبية بالنسبة للمبحوثين الشباب بصفة عامة، فقد أصبح ذلك متاحا للجميع، بعد أن كان امتلاك الرأس المال اللغوي الأجنبي مرتبطا ومشروطا بالترف الاجتماعي والمستوى المادي والاقتصادي الميسور لدى غالبية الفاعلين الاجتماعيين، مما أدى إلى تطبع هذه الميزة بصبغة شبه طبقية. فمن المتعارف عليه قبلا حسب تصريحات المبحوثين أن من لديه هذه القدرة هو أحد المتمدرسين في المعاهد والمدارس المتخصصة بالتكوين في اللغات الأجنبية، والمعروفة بتكاليفها الباهضة.

كما يشير المبحوثون إلى أن هذه القنوات بتنوعها الكبير والملحوظ تتيح الفرصة أمام المتعلم لاختيار قناة ذات محتوى متلائم مع تطلعاته، وطريقته في التعلم والتلقي، نظرا للغنى والتعدد في مضامينها وطرقها التعليمية، المعتمدة على العديد من الكيفيات التدريسية: محتوى تعليمي تلقيني، تلقيني تفاعلي، مناقشة مقاطع من مسلسلات أو أفلام، الاعتماد على الأغاني، الرسوم المتحركة، بث تجارب يومية من الحياة الاجتماعية والواقع المعيش...وغيرها.

ومن هنا تتأتى إمكانية تعويض النقص الناتج عن تعليم اللغات في المدارس العمومية التي لا تولي كبير عناية بالمسألة من ناحية، ومن ناحية أخرى، توفير فرصة تعلم اللغات الأجنبية للجميع بدون استثناء، وبغض النظر عن إمكاناتهم المادية أو ظروفهم، وهذا بفضل التكنولوجيا والثورة المعلوماتية التي بالرغم من التأثيرات السلبية الكبيرة الملاحظة عن سوء استعمالها، إلا أنها بهذه الطريقة التعليمية تحفظ لكل فاعل اجتماعي حقه في الحصول على المعرفة والتعلم الذاتي وفق ما يتماشى وتطلعاته.

والملاحظ أن أبرز القنوات المذكورة من طرف المبحوثين تتعلق أساسا بتعليم ثلاث لغات تتقدم البقية: الانجليزية في المقام الأول، وتليها كل من اللغة الاسبانية واللغة التركية، في حين لا يتم الاهتمام بالفرنسية والإيطالية إلا من طرف مبحوثين فقط من أفراد العينة. تتمثل هذه القنوات فيما يلي: learn english with englishclass101.com ، learn english with misterduncan، learn english with TV series، learn english with Ronnie فيما يتعلق باللغة الانجليزية. أما اللغة الإسبانية فتتمثل قنواتها الأساسية المتابعة من طرف أفراد العينة فيما يلي: learn spanish with spanishpod101.com، the spanish blog، learn spanish. وأشار المبحوثون إلى القنوات التالية كأفضل قنوات حسب تجربتهم لتعليم اللغة التركية: تعلم اللغة التركية ببساطة، قناة مهدي كمخ، تعلم تكلم التركية محمد زبدية.

تقدم هذه القنوات حسب تصريحات المبحوثين محتويات ثرية من الناحية اللغوية والتعليمية، بالإضافة إلى كون أغلبها يمكن اعتبارها تعليمية ترفيهية بالدرجة الأولى، لا يمل المتابع لها كما هو الحال في الحصص التلقينية للغات التي يتلقونها في مسارهم الدراسي، حتى وإن تم إعادة الحلقة التعليمية لعدة مرات من أجل الاستفادة لأقصى درجة.

ويرى أغلبية المبحوثين إضافة إلى ما سبق أن الاعتماد على قنوات اليوتيوب المتخصصة في تعليم اللغات الأجنبية قد أصبح موضة واسعة الانتشار بين الشباب، خصوصا بعد أن يلاحظوا النتيجة المباشرة لها لدى أقرانهم ممن اتبعوا هذه الكيفية، فيما يتعلق بالعمل تحديدا، وكيفية التواصل مع العالم الخارجي، واكتساب الثقافة المتعلقة بهذه اللغة الأجنبية. ذلك كونهم يتعلمون ما يرتبط بهذه الثقافة أثناء التعاطي مع اللغة، حيث هناك ارتباطا وثيقا وعلاقة مباشرة حسب تصوراتهم بين الثقافة واللغة التي تمثلها وتترجم مختلف مكنوناتها وأبعادها. إذ يوجد تأثير متبادل بين البنية اللغوية أو الرأسمال اللغوي والبنية الاجتماعية لها، وبهذا لا يمكن بأي حال من الأحوال الفصل بينهما، مما يعني أن اكتساب اللغة يحيل إلى اكتساب الثقافة الأصلية لها حسب تصريحات الفاعلين الاجتماعيين، وهو ما يؤدي إلى دخولهم إلى عوالم جديدة وتجارب مغايرة لواقعهم

الاجتماعي المحلي، ويفتح أمامهم طرق تفكير وتصرف وتواصل يمكن أن تكون متمايزة في العديد من الوضعيات التفاعلية مع سجلهم المحلي ومرجعيتهم الأصلية.

الخاتمة:

اعتمادا على المعطيات سابقة الذكر، يمكن القول أن قنوات اليوتيوب الخاصة بتعليم اللغات الأجنبية قد ساهمت بناء على الاستكشاف الميداني في تجاوز الحدود الاجتماعية والثقافية، وحتى الاقتصادية بالدرجة الأولى، والتي كانت تمنع أو تعيق اكتساب الأفراد ذوي الدخل الاقتصادي المحدود والمتوسط أو الضعيف للغات الأجنبية، عن طريق طرق تعليمية غير مملة، إضافة إلى إكسابهم بكيفية مباشرة لطرق تفكير ونماذج تصرف يعيدون إنتاجها في واقعهم اليومي من أجل تحقيق التميز الذي يضمنه الرأسمال اللغوي الأجنبي.

وبذلك أخرجت هذه القنوات اللغات الأجنبية من كونها مجرد أشكال أو قوالب رمزية مصاغة في مجموعة من القواعد والبنى اللغوية، إلى كيانات رمزية لها خصوصياتها، تساهم بطريقة مباشرة وفعالة في تجاوز الحدود الاجتماعية والجغرافية والثقافية، وتؤسس لإدماج عوالم متعددة وطرق عيش متمايزة.

قائمة المراجع:

- بورديو، بيار (1966) **أسباب عملية**، ت: أنور مغيث، طرابلس: الدار الجماهيرية للطبع والنشر.
- بورديو، بيار (2002) **بعبارة أخرى: محاولات باتجاه سوسيولوجيا انعكاسية**، ت: أحمد حسان، ط01، القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات.
- بورديو، بيار (2011) **مسائل في علم الاجتماع**، ت: صبحي هناء، ط 01، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة/ كلمة.
- حسام الدين، كريم، زكي (د.س) **اللغة والثقافة: دراسة أنثرولغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية**: الكتب العربية.
- غدنز، أنتوني (2005) **علم الاجتماع**، ت: فايز الصياغ، ط 01، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- ABRIC, Jean claude (1997) **Pratiques sociales et représentations**, Paris : PUF.
7- BENNANI, Jalil (2014) **Comment les jeunes changent nos vies**, Casablanca, Maroc : La Croisée des chemins
8- BOURDIEU, Pierre(1979) **La distinction. Critique sociale du jugement**, Paris : Minuit
9- Galland, Olivier (1994) **Sociologie de la jeunesse : l'entrée dans la vie**, Paris : Armand Colin.
10- JODELET, Denis (1984) **Représentations sociales : phénomène, concept, théorie**, Paris : PUF